كيف نحلّ في كثير من الأحيان المشكلات الخطأ بوسائل صناعية

Eliakim M. Kambale

FF-0001 · v1 · ar · 2026-11-17

ترجمة عن en v1

https://contributions-ledger.org/freeforms/ff-0001/v1/ar/

لماذا نخوض كثيرًا حروبًا ضد إخفاقاتنا الماضية، وأحيانًا على حساب كل ما بنيناه منذ ذلك الحين؟ كنت أتأمل معنى النجاح في الحياة. هل هو أن يرانا الآخرون ويُعجبوا بنا ويحترمونا، أم أن نجمع من القوة ما يكفي لجعل الأمور تحدث؟ أظن أن بعض ما يبدو طموحًا ليس إلا محاولة للرد على شيء حدث قبل زمن طويل: ألا يأخذك أحد على محمل الجد، وألا ينتبه إليك، وأن يجعلك الآخرون تشعر بأنه ليس فيك شيء مثير للاهتمام أو مرغوب فيه على نحو خاص، وما إلى ذلك.

يبني الناس أحيانًا أشياء عظيمة ليثبتوا لشخص ما أنه كان مخطئًا. لأب أو أم لم يؤمن بهم، أو معلم استهان بقدراتهم، أو حبيبة لم تأخذهم على محمل الجد. أو امرأة قلّل أستاذ جامعي من قدراتها، فتنخرط في الحركة النسوية وتعزم أن تصبح أستاذة بدورها لتثبت أن المرأة تستطيع النجاح أيضًا. يحمل الإنجاز رسالة إلى ذلك الشخص: «لقد كنت مخطئًا بشأني». وينطبق هذا على الرجال أيضًا: يشتري رجل سيارة فاخرة ويقودها في الحي الذي تسكنه امرأة رفضته، أو ينشر علاقة جديدة على وسائل التواصل أملًا في أن تراها حبيباته السابقات. وبعد سنوات، قد يظل حكم ذلك الشخص هو ما يحدد ما يستحق جهد حياة كاملة.

لكن هناك فخًا. تخيل شابًا مولعًا بالدراسة كان يشعر أنه غير مرئي في المدرسة الثانوية. يكدح حتى الإنهاك ويصبح رجل أعمال ناجحًا. بات يفرض نفسه على الانتباه، لكن بعض ذلك الاهتمام يأتي من أشخاص يريدون الوصول إلى منصبه أو ماله. والأشياء نفسها التي اكتسبها ليصبح مرغوبًا فيه تجعل معرفة ما إذا كان أحد يرغب فيه هو شخصيًا أصعب. قد يغيّر المال والسلطة سلوك الناس من حوله من دون أن يغيّرا شعوره عندما يتجاهله أحد. قد يكون ناجحًا بكل المقاييس العلنية تقريبًا، ومع ذلك يبقى منشغلًا بالسؤال الذي أطلقه في هذا السباق.

يحب جنسن هوانغ أن يروي حكاية تعرّفه إلى زوجته لوري في الجامعة: أمضى أشهرًا يحل الواجبات معها قبل أن يجد الشجاعة لدعوتها إلى موعد. ما يلفت انتباهي في حكايته هو التبادل الذي جرى: عرض موارد للحصول على اهتمامها، ونجح الأمر. ربما لم يتعلم قط طريقة أخرى، وواصل جمع موارد أكبر ومراكمة مزيد من السلطة لضمان هذا الاهتمام، ليس من لوري وحدها، بل على الأرجح من نساء أخريات أيضًا. ومع أنه من المعروف أن جميع الرجال يدفعون ثمن الوصول الجنسي، فإن رجلًا بارعًا في الإغواء ربما حصل على موعد ببضع نكات وقليل من اللباقة والجو المناسب، من دون إنفاق قرش واحد. والسؤال هنا هو ما إذا كان هوانغ قد تعلّم يومًا أن يجذب الانتباه من دون شيء خارج ذاته يجعله يتألق. في الجامعة، كان ذلك الشيء هو الدرجات الممتازة التي وعد لوري بها من خلال جلسات حل الواجبات؛ ثم أصبح المال والشهرة ومنصب الرئيس التنفيذي وما يمنحه من نفوذ وسلطة. ازدادت موارده، لكن هل تغيرت طريقته في طلب المودة يومًا؟

ربما يبدو أن تصبح شخصًا مهيب القوة أسهل تصورًا من الاقتراب من شخص مع احتمال أن يرفضك. أو ربما امتزجت مودتها برغبة أخرى: أن تصبح شخصًا يستحيل تجاهله مرة أخرى. وعندها يحمل اهتمام شخص واحد ثقل انتصار شخصي أكبر بكثير. هل سيرضيه أن يكون مرغوبًا فيه، أم سيظل بحاجة إلى أن يصبح شخصًا لا يمكن تجاهله؟

من الخارج، تبدو العلاقات التي نُسبت إلى هوانغ في التقارير وفقدانه منصب الرئيس التنفيذي طريقة سخيفة للمخاطرة بكل ما ظل يبنيه طوال ثلاثة وثلاثين عامًا. لكن حين تنظر إلى حالته من زاوية أخرى، ربما بقي الجرح القديم نقطة ضعفه، وربما لم ينتبه إلى أنه يكشفه للعالم كله كلما روى قصة لقائه بزوجته. لذلك كان بإمكان أي امرأة تمنحه قليلًا من المودة والاهتمام أن تصل إلى ذلك الشاب المنكبّ على الدراسة تحت

كل تلك السلطة. وقبل أن تظن أنه اتخذ قرارًا «سيئًا» أو أساء حساب المخاطر، لا تنسَ أن عقله الباطن ربما كان يستخدم السلطة على النحو الصحيح، أي للفوز بالحروب التي لم ينتصر فيها قط. بالنسبة إليه، لم يكن ذلك تبديدًا لكل شيء من أجل مكافأة ضئيلة؛ بل كان أخيرًا استخدامًا للأسلحة في الغرض الذي اقتناها من أجله. ربما لم نرغب يومًا فيما بنيناه لذاته. كان آلة حرب ضد إخفاقات الماضي، يمكن التضحية بها في محاولة الانتصار.

نبني أحيانًا جيشًا لحرب كان يمكن أن تنتهي بسكين مطبخ. يقضي شخص سنوات في بناء الثروة لأنه يريد أن يكون مرغوبًا فيه، مع أن تعلّم إغواء امرأة ربما عالج الصعوبة على نحو أكثر مباشرة. أفكر في حبكات المسلسلات التي يعجز فيها رجل عن جذب اهتمام امرأة، فيلتحق بالجيش ويخضع لتدريب شاق، ويصبح فاتحًا أو يكتسب القوة لهزيمة الشرير. ثم يعود أملًا في أن تنظر إليه أخيرًا نظرة مختلفة. إن كان يستطيع طلب موهبة، فلماذا يطلب القدرة على هزيمة الجيوش أو الفوز بالمبارزات؟ لماذا لا يطلب موهبة إغواء الفتاة التي أراد التحدث إليها أصلًا، أو القدرة على الاستغناء عن اهتمامها تمامًا؟

يدهشني دائمًا كيف يستطيع الناس صنع العجائب وتغيير العالم لمجرد تجنب تغيير أنفسهم. أفكر في نسويات يخشين تحمّل المسؤولية إلى حد أنهن، في سعيهن إلى سلامة النساء، يفضّلن إعادة تربية الرجال على الموافقة واحترام الحدود، وتلقين الأولاد باستمرار ألّا يؤذوا امرأة أبدًا، بدلًا من أن يتعلمن ويعلّمن الفتيات الأصغر كيف يتعرفن إلى الخطر ويتجنبنه.

في رأيي، التمكين الحقيقي هو أن تتعلم حماية نفسك أينما كنت. ولا ينبغي أن يتوقف على حظك في العيش في بلد تتحكم فيه بتعليم المعتدين المحتملين. يمكنك إتقان النظام، لكن لا يمكنك ضمان أن يخرج كل صبي منه مهيأً على النحو الصحيح. وإذا خرج واحد فقط معيبًا، فالخطر لا يزال موجودًا في الخارج.

قد يكون الحل الأبسط والأكثر عملية هو اكتساب فهم عميق للطبيعة البشرية يصحبك أينما ذهبت. يتيح لك التعرف إلى الخطر وتجنبه من دون الحاجة إلى جهاز حكومي ضخم يعيد تشكيل جيل كامل من الرجال.

ومن دون أن أستطرد، لماذا ينبغي أن تكون سلامتك الخير الأسمى الذي يعيد المجتمع كله تنظيم نفسه من أجله؟ ما الذي يمنحك الحق في تشكيل جميع الآخرين من أجل راحتك؟ أليس من الغرور والاستبداد والتمركز حول الذات أن تقرر كيف يجب أن يعيش الآخرون كي لا تضطر أنت إلى بذل أي جهد؟ أرى في ذلك عقلية أميرة أو إلهة، ونوعًا من الأنا وحدية: كل شيء يدور حولي، وعلى الجميع أن يخدموني ويخدموا احتياجاتي.

أرى النمط نفسه لدى أمهات عازبات يلومن الرجال على عدم المسؤولية وتركهن مع الأطفال. كان بإمكان بعضهن اختيار شريك أكثر موثوقية، أو إبقاء أرجلهن مغلقة حتى الزواج. وهذا، في نظري، يشبه الرجل الذي يغزو العالم متوقعًا اهتمام امرأة بدلًا من أن يتعلم إغواءها: أي إنه يجتهد في حل المشكلة الخطأ.

غالبًا ما يختار الرجال حلولًا عملية. لتجنب الاتهامات الكاذبة، يتجنبون مواقف مثل التحدث إلى زميلة في مكتب بباب مغلق، أو البقاء حتى وقت متأخر في المكتب مع زميلة، أو ركوب المصعد على انفراد مع امرأة. لا يحتاجون إلى إعادة تشكيل جيل كامل من النساء كي لا تتهم أي امرأة رجلًا بريئًا زورًا بأشياء لم يفعلها قط. إنهم يعدّلون سلوكهم هم. في هذا الأمر، الرجال أكثر عملية. لكن عندما يتعلق الأمر بالإغواء، ينسون هذا النهج العملي. لماذا؟

ربما لأن الإغواء أصبح متشابكًا مع إثبات الذات ورد الاعتبار. يريد أن يحسم اهتمامها شيئًا يتعلق به: أنه مرغوب فيه، وأن من تجاهلوه كانوا مخطئين، وأنه لن يعود عديم الأهمية أبدًا. يستطيع قبول قيد وتعديل سلوكه حين يحمي نفسه. لكن لا مبالاتها قد تكون أصعب قبولًا لأنها تبدو حكمًا على قيمته. تعلّم المغازلة يتركه مع ذلك عرضة لرفض شخصي. أما مراكمة المال أو المكانة أو السلطة فتمنحه خيال أن يصبح يومًا شخصًا يستحيل رفضه.

وقد يكون في جمع الموارد أيضًا شيء مألوف. فهو يعرف كيف يعمل وينافس ويراكم. الاقتراب من شخص من دون هذه الحمايات يتطلب قدرة أخرى، ربما قدرة أمضى حياته يتجنبها. قد يبقى تفكيره بالغ الفاعلية وهو يخدم هدفًا عاطفيًا لم يفحصه قط. ويمكن تسخير كفاءة استثنائية لحل المشكلة الخطأ.

وهذا يعيدني إلى الرجل العادي الذي يسعى إلى قوة سحرية: لماذا يطلب ألّا يُرفض مرة أخرى بدلًا من أن يطلب مناعة ضد الرفض؟ الأمنية الأولى تضع العبء على الطرف الآخر الذي لا يستطيع التحكم في رده. يعتمد أمانه على استمرار رغبتها فيه، وعلى أن يتصرف شخص آخر بطريقة تحمي إحساسه بقيمته. ومهما بلغت قوته، تستطيع هي أن تفضّل شخصًا آخر أو تغيّر رأيها ببساطة. الحماية التي يحاول اقتناءها لا يمكن تأمينها بالكامل أبدًا.

تبدو القدرة على احتمال الرفض قوة أنفع للاكتساب. وأقصد بالمناعة شيئًا يترك مجالًا للاكتراث. قد يظل الرفض مؤلمًا، وخصوصًا حين يكون الشخص مهمًا. لكن خيبة الأمل لا يلزم أن تصبح حكمًا يجب نقضه بسنوات من الإنجاز. إن لم يكن الرفض يهدد كل ما تؤمن به عن نفسك، قلّت أسباب ترددك قبل طلب ما تريد. يمكنك الاقتراب من شخص، والتعبير عن اهتمامك، وتقديم اقتراح. وقد تفتح هذه الثقة بعض الأبواب. والباب الذي يبقى مغلقًا لا يلزم أن ينتقص من تقديرك لذاتك أو يجعلك تشعر بأن بقية حياتك غير كافية. كان بإمكان الرجل العادي الباحث عن القوة السحرية أن يقترب منها قبل أن يصبح استثنائيًا. وستكون له حياة يعود إليها بعد ذلك.

تبدو ثلاث عقليات مفيدة: «هذا أيضًا سيمضي» قد تهدئ ألم الرفض وتمنح الشعور وقتًا ليتغير. و«الرفض إعادة توجيه» قد تحيي الدافع لمواصلة طرق أبواب أخرى، وتمنح الانتباه وجهة جديدة. أما عدم التعلق فيبقيك في حالة تقبّل: مهما كانت النتيجة، ستواصل العيش. لقد عشت من دون هذا حتى الآن. إن لم يتحقق، تستطيع الاستمرار من دونه. ومع ذلك يمكنك أن تريده وأن تبذل جهدًا للحصول عليه. إمكانية العيش من دونه تمنحك مساحة لتلقي الجواب، بما فيه الجواب الذي كنت تأمل ألّا تسمعه. والشفاء بهذا المعنى قد يشمل القدرة على مواجهة الشعور القديم من دون الاضطرار إلى تنظيم حملة أخرى ضده.

بعض الحروب لا يُقصد أن تُخاض في العالم المادي الثلاثي الأبعاد، بل في الداخل. أفكر في قول يسوع: «مملكتي ليست من هذا العالم، بل من العالم الذي فوق». وفي الصياغة الشائعة لفكرة يونغ: «حتى تجعل اللاوعي واعيًا، سيوجّه حياتك وستسمّي ذلك قدرًا».

معظم اندفاعاتنا ليست قرارات عقلانية، بل ردود فعل عاطفية. يرفضك شخص أو يهينك أو يمنحك قليلًا من الاهتمام، وفجأة تصبح مستعدًا لتنظيم حياتك حول ذلك الشعور. والجهد، على نهج فرانكل، هو أن تضع مسافة بين المثير واستجابتك حتى تستطيع أن تقرر ما الاستجابة المناسبة. قبل أن تبني جيشًا، ربما عليك أن تسأل إن كان ذلك الشعور يستدعي حربًا أصلًا.

المرجع

Eliakim M. Kambale. (2026-11-17). كيف نحلّ في كثير من الأحيان المشكلات الخطأ بوسائل صناعية. Freeforms, FF-0001, الإصدار 1 (https://contributions-ledger.org/freeforms/ff-0001/v1/ar/ar).